الأهرام

المصدر :

التاريخ :

بقلم صلاح منتصر

غـــــــــزة - اريحـــــــــا أولا

السلام مع الاسرائيليين والحرب بين الفلسطينيين !

في وقت غير متوقع فاجا ياسر عرفات العالم العربي بتوصله الى اتفاق مع اسرائيل اخذ عنوان: غزة— اريحا أولا.. وهو اتفاق جاء ليبدأ مرحلة سلام مع الاسرائيليين، في الوقت الذي يهدد فيه باشعال الحرب بين الفلسطينيين!

لقد مضت فترة هدوء طويلة استرحنا خلالها في العالم العربي من تبادل اطلاق صواريخ الاتهامات بالخيانة والعمالة والتفريط، ولكن ما ان ذكرت عبارة غزة— اريحا أولا.. حتى عادت هذه الصواريخ الى الإنطلاق بقوة مهددة ياسر عرفات بانه سوف يدفع الثمن ويفقد رأسه قبل ان يستقر به المقام في أريحا مقر الحكم الفلسطيني الجديد.

ولقد قيل من بين ماقيل انه للوصول الى هذه الاتفاقية تم خلال الاشهر السبعة الماضية عقد ١٤ لقاء سريا على الاقل في مدينة اوسلو عاصمةالنرويج بعضها على مستوى عال جدا بين اسرائيل ومنظمة التحرير.. الامر الذي جعل الصحف النرويجية تطلب ان يطلق على هذا الاتفاق «اتفاق اوسلو» وليس غزة— اريحا كما يسمونه..

ولم تكن هذه الاتصالات السرية هي أعظم المفاجآت، بل كانت المفاجاة الاكبر ماقيل على لسان السوريين والاردنيين من انهم لم يعرفوا عن هذا الاتفاق الا قبل ساعات قليلة من اعلانه، وهو مايعني انه حتى كبار الفلسطينيين لم يعرفوا هم الآخرون عنه، والا كانت دمشق وعمان قد عرفتا بالتاكيد به نظراً للارتباطات الخاصة بين العاصمتين وبعض الفلسطينيين.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

والسؤال: هل كان عرفات من الخبث والدهاء الى هذا الحد الذي جعله يحتفظ بهذا السر طوال ٧ أشهر هي مدة اللقاءات السرية التى جرت في أوسلو؟

ان عرفات يعترف بان هو نفسه صاحب اقتراح خطة غزة— اريحا أولا، وهو اعتراف له اهميته نسجله عليه خوفا من ان تدور الايام ويأتي من يتهم مصر بانها كانت صاحبة الاقتراح.

ولابد ان تفاصيلا واسرارا كثيرة سوف تكشفها الايام، ولكن اصدق التفاصيل المتاحة اليوم هو ان هذه الاتصالات السرية بين المنظمة واسرائيل كان مهندسها وارين كريستوفر وزير الخارجيةالامريكي وان هذه الاتصالات كانت تدور على اساس اختيار نوايا الطرفين بعيدا عن تاثيرات الاخرين للتوصل الى اعلان مبادىء بين الجانبين.. وفي محاولة لفتح الطريق اقترح كريستوفر وزير الخارجية الامريكي ما أطلق عليه مشروع «الاكتساب المبكر للسلطة» وأساسه ان تقدم اسرائيل للفلسطينيين نوعا من ممارسة السلطة داخل بعض الاراضي المحتلة، مثل ان يديروا المدارس الخاصة بالطلبة الفلسطينيين،والمستشفيات التي تعالج الفلسطينيين وشؤون العمل والعمال الفلسطينيين وان يتم ذلك بدون ان يوقع الجانبان: الفلسطيني والاسرائيلي اى اتفاق مكتوب..

وكتاكيد للنوايا الامريكية اقترح كريستوفر تقديم عون مالي للمنظمة يمكنهامن اداء هذه المهام نظرا للاوضاع المالية السيئة التى تعانى منها المنظمة والتى وصلت درجة الازمة بسبب توقف الدول العربية عن سداد مساعداتهم للمنظمة خاصة بعد الموقف الغريب الذي وقفه ياسر عرفات في أعقاب غزو صدام حسين للكويت.

وبحسب تصريحات الدكتور نبيل شعث المستشار السياسي لياسر عرفات فان وفدا امريكيا زار تونس قبل اسبوعين وعرض على قيادة المنظمة سداد ٥٩٠ مليون دولار سنويا لتمويل «صندوق الاكتساب المبكر للسلطة» وبالتالي تكست المنظمة عن مطالبة الاسرائيليين باعلان المبادىء ولكن عرفات رفض العرض على اساس ان قبوله— كما يقول نبيل شعث— سوف يحول الفلسطينيين الى موظفين لدى الحاكم العسكري الاسرائيلي.

وفي مواجهة هذا الرفض اقترح عرفات بدلا من «الاكتساب المبكر للسلطة» تجزئة الحل، فبدلا من حكم ذاتي للفلسطينيين في كامل الضفة وغزة كان اقتراحه اعطاء الفلسطينيين سلطات كاملة يمارسونها في جزء من هذه الاراضي.. وقبل الاسرائيليون فكرة عرفات على اساس تطبيقها في غزة التى يحاول الاسرائيليون بالفعل التخلص منها والتي قال رابين عنها انه يتمنى لو استيقظ يوما فوجد انها غرقت في البحر..

ولكن عرفات رفض الاكتفاء بغزة على اساس ان ذلك يعني تخليه عن الضفة الغربية وهو مايرفضه تماما، ومن ثم كانت فكرة مدينة اريحا وأن يبدأ الحكم الذاتي للفلسطينيين في غزة واريحا اولا وبعد ذلك باقي الضفة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

واذا كان صحيحا بحسب هذه الرواية ان عرفات هو بالفعل صاحب فكرة غزة— اريحا كما صرح بذلك، فان الصحيح ايضا ان هذا المشروع لم يطرح للمناقشة مع الاسرائيليين الا قبل اسبوعين فقط وانه قبل هذا الوقت لم يكن قد جرى حتى التفكير فيه، مما يفسر امكان الاحتفاظ بسريته حتى قبل اعلانه بساعات على اساس ان الفترة الزمنية التى نوقش خلالها كانت فترة قصيرة لم تسمح بتسربه خلالها.

□□□

لما اقترح عرفات فكرة او مشروع غزة — اريحا أولا؟

من المؤكد ان لعرفات حساباته في ذلك ولكنني استطيع كمتابع ومراقب للاحداث ان اضع من بين هذه الحسابات مايلي

١ — انه بعد عشر جولات من المباحثات مع اسرائيل استغرقت نحو عامين دون الخروج من الطريق المسدود الذي كانت تمضى فيه فلقد بدا ان اعضاء الوفد الفلسطيني في هذه المباحثات قد اصابهم الضيق ووصلوا الى مرحلة التفكك وطلب الاستقالة وهو أمر حدث بالفعل واستطاع عرفات ان يعالج الموقف على وعد ان هذه الجولة الـ١١ التى بدأت قبل ايام في واشنطن سوف تكون الاخيرة.. وهكذا كان على عرفات ضرورة ان تاتي هذه الجولة الجديدة بما يشبه المعجزة..

٢ — بسبب الازمة المالية الخانقة التى تواجهها المنظمة نتيجة توقف الدول العربية عن سداد حصصها في المساعدات التي تقدمها اصبح عرفات في موقف بالغ الضعف ولم يعد من الممكن ان يبعث الحياة في المساعدات التي توقفت عنه بدون خطوة جريئة تلفت الانظار اليه وتستدعي تشجيعه.

٣— ان عرفات لابد انه سال نفسه عما يملكه من سلاح يحصل به على كل ما يريد من الطرف الاسرائيلي.. وفي التحليل الامين فانه وجد انه اصبح بلا عون سوفيتي ولا غطاء عربي ولارصيد مادي، وان كل ماتبقى معه هو سلاح الانتفاضة التى صار لها خمس سنوات.. ورغم تاكيده في تصريحاته العلنية على استمرار هذه الانتفاضة فان التحسب لبرود نيرانها وافتقادها هي الاخرى كسلاح كان ولابد ان يقلقه.. وبالتالي كان ضروريا ان يعيد حساباته على اساس ان مالايؤخذ كله لايترك كله..

٤— لاجدال ان الاسرائيليين كانوا يتمنون التخلص من غزة بسبب المشاكل الكثير التى يواجهونها نتيجة الانتفاضة والكثافة السكانية فيها وقد وصل الامر الى حد تفكيرهم بان يعلنوا يوما اعادة غزة الى سكانها.. فاذا حدث هذا هل يرفض عرفات وقتها ويصر على بقاء غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي ويرفض ان يتسلمها اهلها؟ وهل من المصلحة ان ينتظر الى ان يحدث هذا ام يحاول الوصول الى اتفاق يضع غزة اولا وبعد ذلك باقي الارض المحتلة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

٥ — في النظر الى تاريخ المفاوضات الاسرائيلية العربية يلاحظ ان اسرائيل التزمت سياسة الخطوة خطوة.. فمع مصر كان اتفاق فض الاشتباك الاول ثم الثاني ثم الانسحاب من سيناء على عدة مراحل.. ومع سوريا بالنسبة لهضبة الجولان فقد رفع شعار الارض مقابل السلام، وترجمت اسرائيل ذلك بقولها: انسحاب كامل مقابل سلام كامل، وانه لتحقيق هذا السلام الكامل لابد من تبادل العلاقات على مستوى السفارات: سفارة لاسرائيل في دمشق وهي مصرة عليها، وسفارة لسوريا في تل ابيب وكانت حجة سوريا انها لاتستطيع القفز مرة واحدة من مرحلة عداء كامل مع اسرائيل الى مرحلة تبادل السفارات وان هناك دولا لها علاقات ممتازة مع سوريا مثل بورما وليس لها سفارة في سوريا، ولكن امام رفض اسرائيل التنازل عن مطلب تبادل السفارات تم الاتفاق على تجزئة الانسحاب من الجولان على مراحل على ان تاتي اقامة السفارات في المرحلة الاخيرة.. والمعنى بالنسبة لعرفات ان تجزئة الحل امر وارد وسبق تطبيقه مع مصر، وسيطبق مع سوريا فلماذا لايستخدمه هو الآخر؟

٦ — بجانب هذه الحسابات هناك الجانب الخاص في شخصية ياسر عرفات والتي بالطبع تجعله يتمنى ان يتوج كفاح الـ٤٢ سنة والتي امضاها على راس منظمة التحرير بعمل يضع فيه شعبه على طريق تحقيق احلامه وآماله.

□□□

ان كان اذن على الحسابات فالواضح ان احدا لايستطيع ان يلوم عرفات اذا هو توصل الى اتفاق يحقق الاهداف الفلسطينية، ولهذا فان السؤال بعد ذلك هو: هل هو بالفعل يحقق هذه الاهداف؟

ان اكبر الاخطاء التي وقع فيها عرفات هو اطلاق اسم «غزة اريحا» على هذا الاتفاق، لان من يسمع هذا العنوان لابد وان يعتقد ان الاتفاق يفصل بين غزة وبين الضفة وانه اعطى الفلسطينيين قطعة عظم ينحتون فيها باسنانهم وينشغلون فيها بينما تاخذ اسرائيل كل اللحم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ولعل هذا ماجعل الذين يروجون للاتفاق يضيفون بعد يومن من اعلان الاتفاق كلمة اولا الى عنوانه ليصبح اتفاق غزة— اريحا اولا على اساس ان له ملحقا ثانيا هو الضفة الغربية.

ومن يقرأ بنود الاتفاق الذي اذيعت مسودته والمكون من ١٧ بندا يستطيع ان يقسمه الى قسمين: قسم خاص بالضفة الغربية وغزة ويتضمن خمس مواد، والباقي خاص بما سيجرى تنفيذه على قطاع غزة ومدنية اريحا وبحسب البنود الخمسة الاولى فالمتصور ان يمضي السيناريو على الوجه التالي.

١— خلال ٩ شهور من التصديق على هذا الاتفاق يتم التوصل الى اتفاق على طريقة وشروط الانتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة

٢— ستكون هناك فترة انتقالية مدتها خمس سنوات تبدأ فور الانسحاب من غزة واريحا.

٣— قبل بداية السنة الثالثة من هذه الفترة الانتقالية تبدأ مفاوضات لتحديد الوضع النهائي

٤— هذه المفاوضات تشمل قضايا القدس، اللاجئين، المستوطنات، ترتيبات الامن، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران اخرين وقضايا اخرى ذات اهمية مشتركة.

والاتفاق كما يبدو يشير الى الضفة والقدس وهو ماجعل عرفات يقول عنه انه بداية حل ومرحلة اولى لانسحاب اسرائيلي يشمل الاراضي المحتلة عام ٦٧..

اما بالنسبة للاسرائيليين فانهم يرون فيه خطوة «لاختبار الحكم الذاتي الفلسطيني» مع احتفاظ اسرائيل بالاشراف على الامن.

ولكن بالنسبة لاعداء عرفات وهم ليسوا قليلين فانهم راحوا من اول لحظة يركزون على فكرة ان الاتفاق يفصل بين غزة والضفة.

والاسباب التى يرددها المعارضون كثيرة اهمها انه يهدف الى تاجيل تطبيق الحكم الذاتي على باقي الضفة الغربية، وانه اتفاق غير عملي لان هناك مسافة كبيرة جدا تفصل بين غزة وبين مدينة اريحا.. فكيف سيتنقل السكان ولانه لم يعط الفلسطينيين مايتصل بالامن والسيادة، ولان هذا الاتفاق سيبرد سخونه الصراع الاسرائيلي العربي.

فبعد الاتفاق ستعلن المنظمة اعترافها باسرائيل وتشطب من ميثاقها الفقرات التى تدعو الى القضاء على اسرائيل، وتوقف الانتفاضة.. وفي مقابل ذلك تعترف اسرائيل بالمنظمة، وتنسحب من

غزة واريحا.. وكثيرون من الذين يعارضون عرفات يسالون: هل نحن مستعدون لهذه المرحلة الجديدة؟ هل نحن جاهزون بالكوادر والضمانات الاقتصادية؟ وعلى حد قول الشاعر محمود درويش الذي استقال من عضوية اللجنة التنفيذية الفلسطينية: اننا نودع بشكل فوضوي مرحلة تاريخية من عمر المنظمة لندخل مرحلة اخرى لم نعد لها.

ومحمود درويش شاعر وسلاحه الكلمة، ولكن اعداء عرفات لايريدون الاكتفاء بالكلمة ويهددون بما هو أكبر.. يهددون بالحرب.. فكان الاتفاق قد بدا سلاماً مع اسرائيل، وحرباً بين الفلسطينيين!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية